زيارة الحريري والعمل "داخل" أميركا

شبلي ملاط

الآن وقد تراجع الصخب المرافق لمناسبة القمة الفرنكوفونية، وقد أدت نجاحا لافتا بوضع نفسها على المستوى العالمي الذي لا معنى لها من دونه، علينا العودة الى النسبية التي لا بد من الاعتراف بها في شأن الأحادية الدولية الاميركية، وبقاء الفرنكوفونيات وغيرها من اللغات – الحضارات المنافسة، دون الوقع الاميركي على مصير الدول.

وهنا لا بد من الانتباه الى عالمين أوروبيين آخرين سينافسان الفرنكوفونية في مستقبل غير بعيد، أولهما الايبروفونية، بقوميتيها الاسبانية والبرتغالية وامتدادهما اللغوي العظيم في القارتين الأميركيتين، بما فيها، بالنسبة للاسبانية، كونها لغة أمّ رديفة في الولايات المتحدة نفسها. وكذلك على المستوى الاوروبي، من الضروري الالتفات الى مستقبل ما يعرف بالمحيط الالماني Deutsches Gebiet وهو مستقبل غني بقوة دوله الثلاث الاقتصادية – المانيا والنمسا وسويسرا – كما بحضارته الادبية والفلسفية العميقة، واستعمال اللغة الالمانية من اشخاص يشكل عددهم ضعف نظرائهم الفرنسيين في اوروبا نفسها.

يبقى ان الفصل – شئنا أم أبينا – يبقى في المستقبل المتوسط المدى (عقدين على الاقل) أميركيا. من هنا ايضا صواب اهتمام رئيس الوزراء رفيق الحريري بالولايات المتحدة، وبحثه الصحيح عن تفعيل التأثير العربي في واشنطن كأولوية العمل الوطني لبنانيا وعربيا. وهنا، ومع الاهتمام بعميق الفكر المغاير الذي أبداه الرئيس سليم الحص والصديق جوزف سماحه على صفحات "السفير" الشهر الماضي، نرى أن الوتيرة المقدامة التي يبديها رفيق الحريري أقرب الى صواب لوازمنا من الحذر الذي يغلف مواقف النافرين من التعاطي مع الولايات المتحدة لأسباب تستحق الاحترام لما فيها من أنفة وموضوعية، انما تبقى قاصرة عما نحتاج اليه في صراع مع اسرائيل، ومع التخلف لا حل له الا عالميا، وبالتحديد في تجانس وتقارع مع القرار في الولايات المتحدة.

ومن الواضح ايضا ان النهوض الاقتصادي الذي تتوق اليه البلاد ليس ممكنا من غير اقناع واشنطن بالالتحاق بركاب اجتماع "باريس –٢" المرتقب الشهر المقبل، وأن سيطرة الولايات المتحدة على صندوق النقد الدولي بالتحديد ترتب الدخول في حوار مزدوج مع جهاز الصندوق كما مع وزارتي الخارجية والتجارة الاميركيتين.

أما اذا كان الحديث مع وزارة التجارة تقنيا في غالبه، فان وزارة الخارجية سوف تطرح لا محال هواجسها الخاصة وأولوياتها على الطرف اللبناني، وأهمها اليوم وضع "حزب الله" في لبنان.

والحديث اللبناني – الاميركي في هذا الموضوع الدقيق نظرا للتراكمات العدائية المختلفة، التي يكنها كل من الطرفين تجاه الآخر لن يسمح بأي تقدم في هذا المجال ويهدد بتقويض الجهود التي يبذلها رئيس الوزراء مع الصندوق الدولي – طالما لا يتعدى الحوار الحجج المعهودة حول اقتناع واشنطن بأن "حزب الله" "ارهابي"، ودفاع رئيس الوزراء عنه بصفته "وطني تحرري". اما الجديد الممكن، فعندنا ان رئيس الوزراء يحتاج الى طرح موضوع العدالة في ملف قانوني مفصل يشمل طبعا سجل اسرائيل في لبنان على مدى عشرين عاما ويستفيد اليوم من كتاب هام حول دور أرييل شارون سنة ١٩٨٢، بقلم جون بويكين وتقدمة جورج شولتز اضافة الى طرح جدي لدور أجهزة السلطة الاميركية في تدبير الانفجار الفظيع جنوب ضاحية بيروت في ٢٨ آذار ١٩٨٥ والذي راح ضحيته أكثر من ثمانين شخصا بريئا. أما الأدلة على تورط الاستخبارات الاميركية المباشر، فهي عديدة ودامغة، أولها ما كتبه الصحافي بوب وودوارد في كتاب عن الـCIA" الصادر عام ١٩٨٧.

لكن العمل في اميركا لا يمكن ان يبقى، لبنانيا وعربيا، على هذا الحد من الارتجال. فاذا كان سفيرنا في واشنطن يتميز بردوده الجريئة في أجهزة الاعلام الاميركية، فان يدا وحدها لا تصفق، خصوصا بالنظر الى آلاف الايدي في المقابل. وهنا لا بد من طرح جديد للحالة العربية / الشرق الاوسطية في الولايات المتحدة، وهو طرح يستدعي خطة متكاملة كالتي قدمها شارل مالك منذ خمسين عاما، ومن الممكن اليوم طرح "كتاب ابيض" طموح ومقدام يستوحي روح فلسفة الرئيس الحريري الخارجية ويعطيها العلم والمنهاج وسبل التفعيل الكفيلة بتغيير سياسة الولايات المتحدة في المنطقة على المدى المتوسط اذا استحال تغييرها في المدى القريب.

محام